عقيدة الجيش؛ مقابل الاستعدادات الجيدة للجيوش العربية وتكثيف التدريب لمختلف المهمات القتالية، الامر الذي كبّد القوات الاسرائيلية خسائر كبيرة، قدرها موشي دايان ـ حسب تعبيره ـ بنحو ٨٠ ـ ٩٠ كارثة يومياً.

٢ ـ هيكل جيش الدفاع وعقيدته العسكرية : حيث ان عقيدة الجيش التي كانت صالحة لحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ لم تكن صالحة لحرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، التي بادرت اليها الدول العربية، فأفقدت الجيش الاسرائيلي هيبته وصورته؛ ولذلك فهو يطرح سؤالاً ويتركه بدون اجابة، وفحواه: ماذا حدث لجيش الدفاع في فترة ما بين الحربين ٦٧ ـ ٧٣ ؟ ويلقي بتبعية الهزيمة ليس على قادة الجيش فقط، بل ايضاً، على الحكومة، التي فشلت، بدورها، في تسيير دفة الحكم. ثم يخلص الى ان هذه الامور مجتمعة افرزت التدهور الذي أصاب حزب العمل وعجزه عن مجاراة التغير الذي طرأ على المزاج العام، مما أدى الى الاطاحة به.

في الفصل الرابع، تناول التغيرات التي طرأت على المجتمع الاسرائيلي، والتي حاول «العمل» التكيف معها، ولكن وسائله كانت سطحية، كحال الذي يتكيف مع ريح عاصفة بوسائل بدائية. من هذه التغيرات ـ حسب اعتقاد المؤلف ـ ظهور حركة غوش ايمونيم كمحصلة للاحباط والحنق الذي انتشر بين اليهود الارثوذكس، نظراً لسيادة طابع العلمانية ـ من وجهة نظر هؤلاء اليهود ـ على المجتمع، لا سيما بعد ١٩٦٧، ولم يستطع «العمل» التكيف معها، فجاء بيغن واعطى لها، باتجاهاته الديماغوجية، الوزن المعقول. ومن المتغيرات اللاحقة، قيام بيغن بتنفيذ سياسة خاصة بالتسوية للحصول على القوة الكفيلة بخلق شرعية دولية لترسيخ السيطرة الاسرائيلية على الضفة والقطاع. وفي هذا، اتجه الى الحل المنفرد مع مصر. وبعد أن أتم ذلك، شرع في احكام سيطرته على هذه المناطق وممارسة السيطرة فعلياً؛ وقد استعان بيغن، في هذا الصدد، باريئيل شارون لاتمام الانسحاب من سيناء، من أجل التفرغ للهدف الحقيقي المتمثل في السيطرة على «ارض ـ اسرائيل الغربية»!

وبعد اعادة انتخابه في العام ١٩٨١، حاول بيغن اكمال مخططاته بشأن تصفية القضية الفلسطينية، وذلك من خلال السعي الى القضاء على منظمة التحرير الفلسطينية، فكان قرار غزو لبنان الذي اثارت نتائجه المكلفة دهشة الجمهور الاسرائيلي، والتساؤل حول الضرورات التي املته. اذ ثمة من يرى ان المشكلة مع م.ت.ف. هي، في جوهرها، سياسية، ولا يمكن ان تحل، أو تحسم، بواسطة الوسائل العسكرية.

ومن المتغيرات التي حدثت، أيضاً، التحولات الاقتصادية. ففي الفصل الخامس، أكّد شفايتسر أن هذه التحولات حصلت في القطاعات الانتاجية المختلفة. فقد هجر معظم العمال قطاعات الزراعة والصناعة والانشاء الى الخدمات، في ظل ضائقة اقتصادية وتضخم متصاعد كانت متطلبات الدفاع ابرز مسبباتهما.

وفي الفصل الاخير من الكتاب، يستعرض الازمات التي تعرض لها الليكود فيما بعد، والتي بدأت داخل حركة حيروت قبل ان يفاجيء بيغن مريديه بالاستقالة . والواقع أن بوادر تلك الازمات ظهرت مع قيام حكومة بيغن الثانية (١٩٨١) في مسألتين تحديداً، هما المأزق الاسرائيلي في لبنان والسياسة الاقتصادية المتردية . وقد راكمت هاتان المسألتان جملة محاولات فاشلة للمعالجة ابرزت عجز سياسة الليكود عن التلاؤم مع متطلبات الجمهور الاسرائيلي، وبالتالي نزوع الميل الانتخابي الى التأرجح بين الحزبين الكبيرين في اسرائيل. وقد ابرزت هذا التأرجح، في الميزان الانتخابي، النتائج التي انتهت اليها انتخابات الكنيست الحادي عشر (١٩٨٤)، والتي فرضت على زعيم الليكود الجديد، اسحق شامير، دعوة زعيم حزب العمل المعارض، شمعون بيرس، الى الاشتراك، مناوبة، في حكومة «وحدة وطنية». ويرى شفايتسر في الدعوة هذه مؤشراً الى فشل سياسة الليكود وتدهور عقيدته وقدرته على تحمل المسؤولية. ويخلص الى ان السياسيين الاسرائيليين، عموماً، ليسوا احراراً في تقرير «الاجندة الوطنية»، وانما دورهم في ذلك يشبه دور «القابلة» التي تخرج هذه الاجندة الى العلن والممارسة.

عماد جاد